

عالم بلا سقف نووي!

لم يعد القلق الذي يعيشه الإنسان المعاصر ناتجاً فقط عن الحروب التقليدية أو الصراعات الحدودية كما كان في الماضي، بل أصبح خوفاً مركباً يتشكل من تداخل أدوات جديدة للعنف والسيطرة، أدوات تتطور بسرعة تفوق قدرة المشاعر الإنسانية على اللحاق بها. فمن سباق التسلح النووي الذي ظل لعقود رمزاً للفناء الشامل، إلى الحديث المتزايد اليوم عن القنبلة القذرة، وصولاً إلى عودة الاغتيالات السياسية كوسيلة لإدارة الصراع، يبدو أن العالم يسير في مسار أكثر غموضاً وخطورة.

لقد دخل العالم منذ منتصف القرن الماضي مرحلة الردع النووي، فأصبح السلام يُصنع بالخوف، وأصبح امتلاك القدرة على التدمير الكامل الضمانة الأساسية لعدم استخدامها. إلا أن غياب المواجهة المباشرة خلق في الوقت نفسه حالة من القلق الدائم، لأن أي خطأ في الحسابات قد يتحول إلى كارثة.

ولكن اليوم لم يعد الخطر محصوراً في السلاح النووي التقليدي، فالتطورات التقنية والعلمية أفرزت أشكالاً أخرى من التهديد أقل تكلفة وأكثر غموضاً وأشد فتكاً. فمثلاً، القنبلة القذرة لا تهدف بالضرورة إلى قتل أعداد ضخمة فوراً، بل إلى نشر التلوث والإرباك والرعب داخل المدن والمجتمعات، لأنها سلاح نفسي إلى جانب كونها سلاح مادة؛ حيث يكفي أن يتحول حي واحد إلى منطقة ملوثة حتى تتوقف الحياة الاقتصادية والمجتمعية في مدينة كاملة.

وقبل أن نشرح عمل هذه القنبلة نسأل: لماذا الآن؟

فقد نشرت الجزيرة نت في 24 شباط/فبراير 2026 خبراً بعنوان: (السلاح المعجزة... روسيا تتهم الغرب بتنفيذ مغامرة نووية لصالح أوكرانيا). حيث ذكر المقال أن الاستخبارات الروسية ترى أن الهدف هو منح أوكرانيا سلاحاً معجزة، بالمصطلح الألماني (فوندر فافه)، يمكن التعويل عليه باعتباره سلاحاً نووياً أو على الأقل قنبلة قذرة، في إشارة إلى قنبلة تتكون من متفجرات تقليدية معبأة بمواد مشبعة لنشرها في الجو وقت الانفجار.

إن هذا الخبر فتح لنا أبواباً لفهم إلى أين يتجه عالمنا.

منذ نهاية الحرب الباردة ظل العالم يعيش داخل توازن هش يقوم على فكرة الردع النووي المنظم. لم يكن السلام نتيجة ثقة متبادلة بين القوى، بل نتيجة قيود قانونية واتفاقيات جعلت السلاح الأكثر فتكاً محكوماً بقواعد واضحة. ومن أهم تلك القيود جاءت معاهدة نيو ستارت، وهي آخر وأهم اتفاقية دولية كبرى لتنظيم وتقليص الأسلحة النووية الاستراتيجية بين أكبر قوتين نوويتين في العالم، الولايات المتحدة وروسيا. حيث تم توقيعها سنة 2010، ودخلت حيز التنفيذ عام 2011، ووقعها الرئيس الأمريكي باراك أوباما والرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف، وتنتهي في شباط/فبراير 2026. وقبلها انتهت اتفاقية سالت، كما انتهت عام

2009 اتفاقية ستارت واحد، وبعدها اتفاقية سورت التي انتهت عام 2012، وفي عام 2019 انتهت معاهدة القوات النووية متوسطة المدى.

لذلك، ومع ما نشهده اليوم من تصاعد التوتر الدولي، يعود السؤال القديم: ماذا يحدث عندما تختفي القيود؟ واليوم تظهر أدوات أخطر، أقل كلفة وأكثر غموضاً، مثل القنبلة القذرة باعتبارها خياراً بديلاً في عالم يتجه نحو المواجهة غير المباشرة، ويتمتع بمحدودية المكان ولكن برعب كبير جداً.

القنبلة القذرة: هي ببساطة مادة متفجرة تقليدية يتم دمجها مع مواد مشعة بهدف نشر الإشعاع في منطقة واسعة عند الانفجار. أي إن الانفجار نفسه يشبه انفجار قنبلة عادية، لكن الخطر الحقيقي يأتي بعد ذلك عبر انتشار غبار أو جزيئات مشعة في الهواء تلوث الشوارع والمباني ومصادر المياه، وتعطل الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المكان المصاب. والهدف الأساسي ليس القتل الفوري بأعداد كبيرة، بل إثارة الذعر الجماعي وإخلاء المدن أو أحياء كاملة وفرض تكلفة اقتصادية ضخمة بسبب عمليات التنظيف الطويلة، ولهذا تُصنّف غالباً كسلاح نفسي اقتصادي بقدر ما هو أمني.

وفي الوقت نفسه لا تُعد قنبلة نووية، إذ تعتمد القنبلة النووية على تفاعل انشطار أو اندماج ينتج طاقة هائلة جداً.

أما القنبلة القذرة فلا توجد دول تعلن رسمياً امتلاكها كسلاح عسكري، لأنها تُعد سلاحاً قذراً ومحرمًا دولياً. لكن المواد التي يمكن استخدامها لصنعها موجودة في أماكن كثيرة حول العالم لأسباب مدنية أو طبية، مثل المستشفيات وأجهزة علاج السرطان بالإشعاع والمفاعلات البحثية وبعض الصناعات النفطية والتعدينية. ولهذا فإن القلق الأكبر عالمياً ليس من الجيوش النظامية، بل من احتمال تسهيل وصول المواد المشعة إلى جهات غير دولية.

فاستخدام القنبلة القذرة من دولة معلنة قد يفتح باب إدانة دولية واسعة وربما ردوداً عسكرية قاسية، فالخطر هنا لا يتعلق فقط بالإصابة الإشعاعية، بل بكسر محرمات جديدة في الصراع الدولي. لذلك قد يكون استخدامها ضمن صراعات غير معلنة، أو عبر أطراف غير مباشرة، أو من خلال تسريبها للمليشيات وغير ذلك. وإذا أصبح استخدام الأدوات الإشعاعية المحدودة مقبولاً أو متكرراً فقد تختفي الحدود النفسية التي منعت التصعيد النووي لعقود، إذ إن كل خطوة صغيرة قد تدفع الخصم إلى الرد بخطوة أكبر، وهو ما ملح إليه الرئيس الروسي إذا ما استخدمت هذه القنبلة من طرف أوكرانيا بشكل مباشر أو غير مباشر سنرد بشكل أعنف.

وللأسف ربما يعيش العالم اليوم مرحلة انتقالية شبيهة بلحظات تاريخية سابقة عندما انهارت أنظمة توازن قديمة قبل أن تتشكل أخرى جديدة. فالتنافس بين القوى الكبرى يتسع، والتكنولوجيا تقلل كلفة التأثير، والإعلام يسرع ردود الفعل.

ولم يعد السؤال فقط من يملك القوة؟ بل من يستطيع التحكم في استخدامها؟

في النهاية لا يبدو أن العالم يقف أمام سلاح جديد بقدر ما يقف أمام عقلية جديدة لإدارة الصراع. فحين تنهار المعاهدات التي كبحت سباق التسلح لعقود، فهذا لا يعني بالضرورة انفجاراً فورياً، لكنه يفتح الباب لزمن تتحرك فيه الدول بلا سقف واضح وبلا يقين حول نوايا خصومها. ويفتح الباب لوسائل ضغط لا تصل إلى الإبادة الشاملة ولا تتعد كثيراً عنها في الوقت ذاته، حيث يصبح الخوف أحياناً أقوى من الانفجار نفسه.

ويبقى السؤال مفتوحاً أمام الإنسانية: هل ستتعلم من ذاكرة الماضي، أم ستكتشف متأخرة أن أخطر القنابل ليست تلك التي تنفجر فوق المدن، بل تلك التي تنفجر داخل غياب الحكمة السياسية؟

فإذا لم تُستبدل بالاتفاقيات المنتهية أطراً جديدة تضبط سباق التسلح، أو يظهر نظام عالمي آخر يلغي هذا الحال، فقد يجد العالم نفسه في زمن تتعدد فيه أدوات الضغط الخفية: هجمات إلكترونية، وتلوث إشعاعي محدود يصعب إثبات مصدره. وعندها لن يكون الخطر في انفجار واحد، بل في سلسلة أزمات صغيرة متتالية قد تدفع البشرية تدريجياً نحو حافة الهاوية دون أن تشعر متى تجاوزت نقطة اللاعودة.

إن البديل المبدئي هو بين أيدي المسلمين لو أرادوا لينقذوا العالم من هذه المجازر الحالية والقادمة وقبل أن يتحول الإنسان إلى وحش كاسر لا يرحم أكثر بكثير مما هو عليه اليوم.

إن ظهور مبدأ الإسلام في أي بقعة كفيل بوقف نزيف العالم لأن تزيق الحياة في منهجه، وقبل أن نتكبد الخسائر ونصل لنقطة لا عودة هبوا وغذوا السير مع حزب التحرير لنعيد للإسلام مركزه في الساحة الدولية بدولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة كما بشرنا بها رسول الله ﷺ، وبمجرد وجود هذه الدولة القادمة بعناصرها الحاضرة وتركتها القديمة ستكون قادرة على تغيير مسار التحول وستعمل جاهدة لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور وظلم وجشع الرأسمالية إلى عدل الإسلام ونوره.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

كتبه للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

نبيل عبد الكريم